القراءة والتعليق على متن

القواعد الأربع

شرح

خالد بن علي آل شاهين السليطي

حفظه الله تعالى

خدمة الدين الخالص
ALDEENAL5AL9
+97466869741

الدروس العلمية
he1.me/Tutorials

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فهذا الكتاب الثاني في هذه اللقاءات التي نجتمع ونتدارس فيها بعض الكتب الرسائل النافعة إن شاء الله وتكون في مجلسين في الغالب وربما كانت في أكثر من مجلسين والكتاب هو كتاب القواعد في الأربع للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى المتوفى سنة ست ومئتين وألف من الهجرة، الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى معروف وترجمته مشهورة مبذولة والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل أن نبدأ في قراءة الكتاب نذكر ما يتعلق بهذا المصنف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مصنفاته تميزت بأمور ومنها هذا المصنف:

۞ **الأمر الأول**: تميزت بالسلاسة والسهولة والاختصار فيتجوز في الكلام مع تمام المعنى كلمات قليلة تحتوي على معان كثيرة وهذا من البلاغة فكتب الشيخ سهلة ميسورة مختصرة.

۞ **الأمر الثاني**: أن مصنفات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمعت بين تأصيل الحق وبيانه مع رد الباطل ونقضه بأوضح عبارة.

۞ **الأمر الثالث**: أكثر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في مصنفاته من الاستدلال بأدلة الكتاب والسنة وإقامة المسائل على الدلائل الشرعية.

۞ **الأمر الرابع**: أن مؤلفات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما ألفها فيما يحتاج إليه الناس وكان يتلمس أعظم ما يحتاج إليه الناس فلم يؤلف تكثراً أو ترفاً وإنما كما يقال: ألّف في معالجة قضايا مهمة في المجتمع.

هذا الكتاب الذي نجتمع في هذا المجلس المبارك لنتدارسه ونقف على معانيه هو كتاب القواعد الأربع ما موضوع هذا الكتاب؟

هذا الكتاب كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدرر السنية هي قال أربعة قواعد من قواعد الدين يميز بهن المسلم مذهب المسلمين من مذهب المشركين فمراده بهذا التصنيف تمييز الدين الذي بعث الله عز وجل به رسوله الذي ارتضاه دينا من دين المشركين.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه: «هي قواعد مهمة فمن عقلها وفهمها جيدا فهم دين المشركين وفهم دين المسلمين»، يعني: حصل له التمييز بين دين الإسلام ودين أهل الكفر والشرك، يقول الشيخ: «وأغلب الخلق لا يفهم هذه القواعد ولذلك التبست عليهم الأمور فعبدوا القبور وأصحاب القبور والأولياء» حصل عندهم خلل في فهم هذه القواعد فوقعوا بسبب ذلك في الشرك فهذا موضوع الكتاب هي قواعد أربع يحصل للمسلم التمييز بها بين التوحيد والشرك فيعرف من هو الموحد ويعرف من هو المشرك.

***وأقدم بمقدمات قبل البدء في قراءة هذا المصنف هذه مقدمات تعين في تفهم هذه الرسالة:**

المقدمة الأولى في بيان التوحيد:

۞ **التوحيد لغة**: «هو التفريد والانفراد وجعل الشيء واحدًا»، وحد الشيء أي: جعله واحدًا هذا معناه اللغوي والمعنى اللغوي يكون موجودًا في المعنى الشرعي.

۞ **وأما معناه الشرعي**: «فهو إفراد الله جل وعلا بما يختص به وان شئت قلت إفراد الله جل وعلا بحقوقه».

***وهذا التوحيد على ثلاثة أقسام يعني إفراد الله عز وجل بما يختص به ثلاثة أقسام:**

۞ **النوع الأول**: توحيد الربوبية: وهو إفراد الله عز وجل بأفعاله كالخلق والرزق والتدبير إلى غير ذلك من أفعال الله عز وجل فيعتقد أن الله عز وجل وحده هو الرازق وأنه وحده الخالق إلى آخره.

۞ **النوع الثاني من أنواع التوحيد**: توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله جل وعلا بأسمائه وصفاته الواردة في الكتاب والسنة والإيمان بمعانيها وأحكامها.

۞ **النوع الثالث من أنواع التوحيد**: توحيد الألوهية أو الإلهية أو العبادة: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، ولك أن تقول إفراد الله تعالى بأفعال العباد أن يفرد العبد

ربه بالعبادة التي أمره بها وسيأتي مزيد كلام على ما يتعلق بأفراد الله عز وجل بالعبادة.

هذه الأنواع الثلاثة هي مترابطة فيما بينها، بينها التزام وتضمن، فإن قال قائل: ما الدليل على هذه الأقسام الثلاثة؟ من أين أتيتم أن التوحيد ثلاثة أنواع؟ أقاله رسول الله؟ أم قاله الصحابة ؟ أم قاله التابعون؟

فالجواب على ذلك: أن هذا التقسيم عرف بدليل يقال له التتبع والاستقراء فنظر أهل في نصوص الشرع فوجدوا ما يتعلق بالتوحيد لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة، ومثال يتعلق بعلم آخر علم العربية علم النحو العلوم العربية العرب يقولون الكلمة كم نوع؟ ثلاث أنواع اسم وفعل وحرف في دليل من أين جابوا هذا ؟ قالوا هذا بالتتبع والاستقراء تتبعوا كلام العرب فوجدوه لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة كذلك هنا تتبع أهل العلم الكتاب والسنة فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة.

وقد جاء هذا التقسيم وذكر هذه الأنواع في كلام جماعة من العلماء منهم ابن منده، وابن جرير الطبري، وابن بطة العكبري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والمقريزي، وآخرين من أهل العلم، ومن قسمه تقسيم آخر فقال: التوحيد وهذا أكثر في كلام المتقدمين كشيخ الإسلام وابن القيم يقول: التوحيد قسمين توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد القصد والطلب فهل هذا مغاير لهذا؟

نقول ليس ثم مغايرة ففي الحقيقة هذا التقسيم يرجع إلى التقسيم الثلاثي الذي

ذكرناه فتوحيد المعرفة والإثبات هو متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات معرفة الله عز وجل وإثبات وجوده وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأما توحيد القصد والطلب فهو توحيد العبادة والألوهية فالمضمون واحد، ولا ضير في مثل هذا التقسيم هذا يجري مجرى التقسيم الاصطلاحي ولا مشاحة في الاصطلاح إذا كان المؤدى واحدًا، طيب الآن بعض الناس يقول هناك ثمة قسم من أقسام التوحيد هوتوحيد الحاكمية فهل هذا نوع صحيح ولا غير صحيح؟

توحيد الحاكمية: إفراد الله عز وجل بالحاكمية إما يرجع لتوحيد الإلهية وإما يرجع إلى توحيد الربوبية فهو راجع إلى إحدى الأقسام الثلاثة فما يصح أن نجعله في قسم مستقل لما بيجي واحد بكرة يقول أيضًا التوكل مهم خلاص توحيد التوكل واحد قال له والله الرجاء أمره عظيم توحيد الرجاء وتوحيد المحبة في الواقع هذه ترجع إلى هذه الأقسام فتوحيد الحاكمية هو راجع إلى توحيد الربوبية إذا نظرنا إلى فعل الله عز وجل وأنه سبحانه هو الحاكم وهو الذي يبيح وهو الذي يحرم وأيضا يرجع من جهة أخرى إلى فعل العبد بإفراد الله عز وجل بذلك.

المقدمة الثانية تعريف الشرك:

الشرك: «هو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه تعالى»(١) يعني

(١) هذا التعريف ذكره ابن قاسم في حاشيته على ثلاثة الأصول وهو موجود في كلام شيخ الإسلام تيمية ابن القيم وغيره من أهل العلم.

جعل شيء من حق الله عز وجل الخاص به لغيره هذا هو الشرك والدليل قوله تعالى:﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١﴾[الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾[الشعراء: ٩٧ – ٩٨] إلى غير ذلك من الآيات التي فيها هذا المعنى.

***وهذا الشرك على نوعين:**

النوع الأول: **الشرك الأكبر**: والشرك الأكبر يُناقض أصل التوحيد ويُذهب الإيمان، كأن يعبد غير الله عز وجل بأن يذبح له أو يسجد له هذا شرك أكبر.

والنوع الثاني: **شرك أصغر**: والشرك الأصغر هو كل ما نهى عنه الشارع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه ذكر هذا علماء اللجنة الدائمة في جواب لهم، وهذا الشرك الأصغر لا ينافي أصل التوحيد ولا ينافي أصل الإيمان وإنما ينافي كماله الواجب كالرياء وقول: ما شاء الله وشئت، والطيرة والحلف بغير الله هذه من أنواع الشرك الأصغر.

فإن قال قائل: من أين أتيتم أن الشرك ينقسم إلى أكبر وأصغر؟

فالجواب: أنه ورد في الشرع تسمية الشرك بأكبر وأصغر فهذا مرده إلى نصوص الشرع فإنها جعلت الشرك على نوعين.

المقدمة الثالثة: الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

هذه مسألة مهمة حتى يحصل للعبد تمييز بين ما يكون مناقضا لأصل الإيمان

وما يكون مناقضا لكماله الواجب.

❋الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

۞ **الفرق الأول**: أن الشرك الأكبر مخرج من الملة وأما الشرك الأصغر فلا يخرج به صاحبه من الملة يبقى مسلما.

۞ **الفرق الثاني**: أن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾**﴾ [الزمر: ٦٥] عمل هنا مفرد مضاف فيفيد جميع العمل فهذا في الشرك الأكبر فالشرك الأكبر يحبط جميع العمل وهذا الخطاب في حق الأنبياء وحاشاهم من الشرك فقد عصمهم الله عز وجل من ذلك فمن باب أولى غير الأنبياء في هذا التحذير لغير الأنبياء إذا كان الشرك لا يغفره للأنبياء وإن وقعوا فيه مع أن الله عز وجل عصمهم منه فتنبه يا عبد الله إذا لم تكن من المعصومين أن تقع في الشرك فتكون من الذين حبط عملهم وكانوا من الخاسرين إذًا يحبط جميع الأعمال وأما الأصغر فلا يحبط جميع العمل وإنما يحبط العمل الذي وقع فيه على تفصيلٍ في هذا الإحباط فيحبط العمل الذي وقع فيه

۞ **الفرق الثالث**: أن الشرك الأكبر صاحبه مخلد في النار قال تعالى:﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾**﴾ [المائدة: ٧٢] هذه بالإجماع في الشرك الأكبر لا الأصغر فصاحب الشرك الأكبر خالد مخلدًا أبدًا في النار، وأما صاحب الشرك الأصغر فهو إن دخل في النار فإنه لا يبقى فيها أبد الآباد وإنما يطهر فيها ثم يخرج ويدخل الجنة.

۞ **الفرق الرابع والأخير**: أن الشرك الأكبر لا يغفره الله لمن مات عليه كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ** ﴾[النساء: ١١٦] وأما الشرك الأصغر فقد تنازع أهل العلم هل هو داخل في ما دون ذلك أو غير داخل بمعنى أنه يبقى على العبد وزره ثم تحصل في حقه موازنة مع الحسنات فمنهم من قال: لا يُغفر، ومن منهم من قال: يُغفر، لكنه عموما يبقى في دائرة الإسلام حتى لو لم يغفر له وإنما يدخل في الموازنة، ودليل من قالوا أنه لا يغفر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(١) وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ** ﴾[النساء: ١١٦] ووجه الدلالة أن (أن) مصدرية فيصير معنى الآية: أن الله لا يغفر شركا فصارت نكرة في سياق النفي فتفيد العموم لذلك قالوا يدخل الشرك الأصغر في ذلك وهذا مما يبين عظيم جرم الشرك وان العبد يتحرز من الأكبر والأصغر منه حتى يدخل في مغفرة الله عز وجل.

المقدمة الرابعة: الرب:

***معاني الرب ترجع لثلاثة أمور:**

۞ **المعنى الأول**: السيد المطاع الذي كمل في سؤدده.

---

(١) رواه مسلم (رقم:٢٩٨٥).

۞ **المعنى الثاني**: القائم على الشيء المصلح له.

۞ **المعنى الثالث**: المالك للشيء.

فإذا قلنا: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: ٢] معنى ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ هو السيد المطاع الذي كمل في سؤدده وهو القائم على الشيء المصلح له وهو المالك له إذًا هذه هي معاني الرب ذكر هذا أبو المنصور الجوهري وابن جرير وغيرهما، فمعاني الرب ترجع إلى هذه الأمور الثلاثة.

المقدمة الخامسة والأخيرة: معنى الإله:

۞ **الإله**: هو المعبود ذكر هذا جماعة من أهل اللغة كالزجاج والجوهري وابن سيده وأيضا جماعة من المفسرين منهم ابن جرير وذكر الشيخ سليمان ابن عبد الله في تيسير العزيز الحميد أن هذا إجماع من أهل العلم أن الإله معناه المعبود.

فهذه مقدمات خمس تفيدنا فيما سنقرأ إن شاء الله تعالى.

مقدمة المصنف

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مبارَكًا أينما كنت، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة»

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بسم الله الرحمن الرحيم» استفتح هذه الرسالة بالبسملة واقتصر عليها في الاستفتاح اتباعا لسنة النبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته كما في كتابه الشهير إلى هرقل: «بسم الله الرحمن الرحيم محمد عبد الله ورسوله» رواه البخاري في الصحيح وكذلك اتباعا لسنة الأنبياء قبل كما في كتاب سليمان في القرآن ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾[النمل: ٣٠]، وأيضا جرى على ذلك جماعة من أهل العلم استفتحوا بالبسملة واكتفوا بها كصنيع أبي عبد الله البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه فإنه اقتصر على البسملة في الاستفتاح وأيضا لما في البسملة من تقديم الاستعانة بالله عز وجل بين يدي المطلوب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة» قدم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين يدي رسالته هذه بالدعاء لقارئ هذه الرسالة وهذا دأب المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كثير من مصنفاته أنه يدعو لقارئ كتابه بأن يتولاه الله بأن يرشده الله بان يرحمه تبارك وتعالى وفي هذا جمع بين بيان الحق والرأفة والرحمة

بالخلق، وفي هذا أيضا حرص المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى على الخير بالمدعوين وأن غرض الداعي من دعوته هو هداية الخلق ورحمتهم؛ لذلك الله عز وجل ذكر في وصف النبي ﷺ ما يفيد ذلك:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾[التوبة: ١٢٨] وقال تعالى:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء: ١٠٧] وقال تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩]، فهكذا يجب أن يكون الداعي يكون رحيما بالخلق رؤوفا بهم يراعي الأسلوب الأحسن ويدعو لهم ويحرص على إيصال الخير لهم بالأسلوب الأحسن فقد قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وروي في الحديث وفي إسناده ضعف وبعض أهل العلم يقويه: «إنما أنا رحمة مهداة»، ومن أعظم ما ترحم به الناس هو أن تدعوهم إلى التوحيد وما يقربهم إلى الله تبارك وتعالى وأن تتلطف بهم في قبوله وفي دعاء المصنف لقارئ هذه الرسالة بهذه الدعوات المباركات إفادة للداعي أن يجمع بين بيان الحق للمدعوين مع دعاء الله عز وجل أن يهديهم وأن يبصرهم بالحق وأن يجعلهم من أتباعه، كثير من الناس يقتصر على الأسباب التي يبذلها بالكلام والبيان لكن يغفل إذا انصرف عن من دعاه أن يقول اللّهم ألن قلبه اللّهم اهده إلى الحق اللّهم بصره بالحق فينبغي على الداعي أن يجمع بين أمرين يستعين بالله عز وجل بدعائه وأن يستعين به في بيان الحق لهم وأن يبين لهم الحق ويدعو لهم أن يبصرهم الله عز وجل بالحق وأن يجعلهم من اتباعه.

توسل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بأسماء الله تعالى باسمه الكريم وبربوبيته للعرش الذي هو أعظم المخلوقات وأثقل المخلوقات وأعلى المخلوقات أن يتولى قاري هذه الرسالة في الدنيا والآخرة، والله من أسمائه الولي وولاية الله عز وجل ولاية عامة لعموم الخلق وولاية خاصة بالمؤمنين كما قال تعالى:﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى:﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٦]، وقال تعالى:﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾[النساء: ٤٥] فالله تعالى ولي عبده المؤمن ينصره ويوفقه ويسدده ويصلح شأنه ويهديه وينعم عليه ويكفيه شرور الدنيا والآخرة فإذا تولى الله عز وجل العبد حصلت النصرة حصل له التأييد حصل له إبصارٌ للحق وعمل بالحق حصل له أن الله عز وجل يصلح شأنه ويهديه وينعم عليه ولذلك تحصل له السلامة في المواطن التي يحصل فيها الخوف:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾[فصلت: ٣٠] ماذا يقولون؟ يقولون:﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾[فصلت: ٣١] في هذا الموقف العظيم عند الموت تبشرهم الملائكة بهذا الأمر وهذه البشارة العظيمة فمن تولاه الله عز وجل حصلت له السعادة وتم له الفلاح والظفر وكان من الصالحين من تولاه الله عز وجل كان من الصالحين﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾[الأعراف: ١٩٦]، فمن كان من الصالحين كان من أولياء الله عز وجل وأولياء

الله عز وجل قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس: ٦٢] فهذه الدعوة الأولى وهي دعاء المصنف أن يتولى الله عز وجل قارئ هذه الرسالة في الدنيا والآخرة ومن تولاه الله نصره وأيده ووفقه وسدده وأنعم عليه بأن يكون موحدًا.

الدعوة الثانية قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأن يجعلك مبارَكًا أينما كنت**»، والبركة هي حصول الخير ودوامه ونماؤه وزيادته، فالبركة تتضمن أمرين: أن يوجد الخير وان تحصل فيه الزيادة والنماء، والله عز وجل قد قال في حق عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣٠ – ٣١] قال جماعة من أهل العلم في هذه الآية قالوا: «نفّاعا للناس» وقال بعضهم وروي عن ابن مسعود وغيره قالوا: «﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ أي: معلما للخير»، فالبركة في المؤمن تكون بإيمانه وتعليمه الخير ونشره للعلم الصحيح الموروث عن الأنبياء فهذا هو المبارك، فهذا الدعاء من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقارئ فيه دعاء بإصلاح الله عز وجل لهذا العبد في نفسه وأن يجعله مصلحا لغيره فتضمنت هذه الدعوة المباركة تحقيق العلم وتحقيق العمل بالعلم وتحقيق الدعوة إلى العلم، فيكون كما ذكر مباركا أينما كان كالغيث حيثما حل نفع وهذا الحال الذي ينبغي أن يكون عليه الموحد حيثما كان وحيثما حل نفع.

الدعوة الثالثة قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُلي**

صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة» يعني: دلالة على السعادة هذه الأمور الثلاثة التي اشتملت عليها هذه الدعوة الثالثة إذا حازها العبد كما ذكر يحوز السعادة، تحصل له السعادة ويحصل له الاطمئنان في القلب وينشرح صدره والعبد متقلب بين هؤلاء الثلاث لا يخرج عنها فهو بين نعمة واصلة وبليَّة نازلة وسيئة معمولة.

الأمر الأول: قال: «وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر»، هذه الحالة الأولى حال العبد مع النعمة ما الحالة الذي ينبغي أن نكون عليها مع النعمة ينعم الله عز وجل بها علينا ولا يخلو العبد من نعمة والله عز وجل قال:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[النحل:٥٣] وما بكم من نعمة فمن الله كل النعم التي نستعملها هي من الله عز وجل ما الحال التي ينبغي أن يكون عليها؟ قال إذا أعطيت شكر فإذا أعطاه الله عز وجل نعمة دينية كانت وهي أعظم النعم أو دنيوية شكر ربه الذي وهبه إياها وأنعم عليه بهذه النعمة وهذا الشكر لهذه النعمة يكون بالقلب بأن يعتقد أن هذه النعمة من الله عز وجل فيحصل له التعظيم لربه والمحبة والإجلال لله عز وجل أن وهبه هذه النعمة تحصل له المحبة في قلبه أن الله عز وجل وهبه هذه النعمة فإذًا هذا ما يتعلق بالقلب يعترف أن هذه النعمة من الله عز وجل فيحصل له تعظيم وإجلال ومحبة لله عز وجل الذي أسداه هذه النعمة تأمل في أحوال نفسك والنعم التي أعطاك الله إياها الآن في أمر الدنيا الإنسان يعطينا نعمة من النعم ويحسن إلينا وهو سبب من الأسباب فيبقى الإنسان يشكره طول حياته ويتذكر فكيف هذه النعم التي يتقلب

العبد فيها؟ فينبغي دائما أن يعترف بنعمة الله عز وجل عليه وتحصل له المحبة لله عز وجل هذا ما يتعلق بالقلب وتكون باللسان شكر النعمة يكون باللسان حمدًا لله عز وجل وشكرًا لربه وان ينسب النعمة إلى الله عز وجل فمن الناس من لا ينسب النعم إلى الله عز وجل ينسبها لغير الله عز وجل قال الله عز وجل: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»[١] فينسب النعمة لله عز وجل ويشكر ربه عليها بلسانه ويتحدث بها كما قال تعالى:﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١].

والأمر الثالث أن يشكرها بعمله أن يشكر النعمة بالعمل يعمل بطاعة الله عز وجل ويستعمل هذه النعمة فيما يحبه الله عز وجل ويرضاه كما قال تعالى:﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبأ: ١٣] والشكر أمر الله عز وجل به أمر الله عز وجل أن يشكره عبادة كما في هذه الآية وكما في قوله:﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[لقمان: ١٤]، وقوله تعالى:﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[البقرة: ١٥٢]، فهذه المراتب الثلاث الشكر بالقلب وباللسان وبالجوارح هي مراتب الشكر، فمن كملها فقد كمل شكره وتم شكره، ومهما بذل العبد من شكرٍ لنعمة الله عز وجل بقلبه

---

(١) رواه البخاري (رقم:٨٤٦).

وبلسانه وبجوارحه فإنه لا يكون مؤديا لما أنعم الله عز وجل به عليه وكلما زاد شكره زاد عمله لذلك النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه قيل له: قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: «أفلا أكون عبدا شكورا»(١)

فالشكور هو الذي يعمل بطاعة الله عز وجل﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾[الإسراء: ٣] أي: كثير الشكر لربه، فالموفق هو الذي شكر نعمة الله عز وجل بقلبه ولسانه وعمل بطاعة الله عز وجل، ويقابل ذلك كفر النعمة وجحود النعمة قال تعالى مخبرًا عن قارون:﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨]، وهذا كثير من الناس الآن قد يبتلى بهذا، يظن أن ما عنده من نعمة من مال أو جاه أو يكون حاذقا في أمر من الأمور أن هذا بجهده وكسبه واجتهاده ولا يعلم أن هذا من نعمة الله وفضله.

الأمر الثاني: قال: «وإذا ابتُلي صبر» هذا حاله مع الابتلاء ولابد للعبد من مصيبة نازلة به فماذا يصنع وماذا يفعل؟ يصبر على ما قدره الله عليه فيحبس قلبه ولسانه وجوارحه عند المحن والبلايا فلا يتسخط ولا يشق ثوبا أو يضرب نفسه أو يدمي نفسه، وكذلك لا يظن بربه ظن السوء في قلبه بل يعتصم بقوله تعالى:﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[البقرة:١٥٥-١٥٦]

---

(١) رواه البخاري (رقم:٤٨٣٦) عن المغيرة رضي الله عنه.

وقوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾[الزمر:١٠]، ومن أعظم ما يعطاه العبد الصبر كما جاء في الحديث: «ما أعطي أحد عطاء خيرًا ولا أوسع من الصبر»(١) وكما جاء عن ابن مسعود وغيره من السلف قال: «الإيمان نصفين: نصف شكر، ونصف صبر»، وهذا يحققه قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حق المؤمن: «عجبا لأمر المؤمن أن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن أن إصابته سراء شكر فكان خيرًا وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»(٢).

الأمر الثالث: مع الذنب، قال: «**وإذا أذنب استغفر**»، ولا يخلو العبد من ذنب كل بني آدم خطاء «كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محاله... الحديث» فالعبد لا يخلو من ذنب صغير أو كبير ما حاله مع ذنبه؟ يسارع إلى التوبة والاستغفار والإنابة﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾[آل عمران:١٣٥] فيسارع العبد إلى الاستغفار والتوبة من ذنبه وملازمة العبد للاستغفار دليل على عبوديته، فإن ذلك أدعى لذلّة وخضوعه لربه﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فيوقن من نفسه بالتقصير فيستغفر ويعلم أن الله عز وجل يغفر ذنبه فيسأل الله عز وجل أن يغفر له فهو أدعى للاستكانته وإما ترك الاستغفار فهو مؤذن بالكبر

---

(١) رواه البخاري (رقم:١٤٦٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٢) رواه مسلم (رقم:٢٩٩٩) عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

والعجب والغرور ولذلك النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما كمل حالة في العبادة «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له»(١) كان يكثر من الاستغفار حتى جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان ربما استغفر في المجلس الواحد مئة مرة يقول: «رب اغفر لي وتب علي أنك أنت التواب الرحيم»(٢) ولذلك قرن الله عز وجل الاستغفار بالتوحيد قال تعالى:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩] فاعلم خطاب للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فمهما حقق العبد من عبادة الله عز وجل والتوحيد فإنه لا يزال له ذنوب فيحتاج إلى أن يستغفر من ذنبه ليكمل حاله، فهذه الأمور الثلاثة إذا أعطي شكر عند النعمة وإذا وقع الابتلاء صبر وإذا أذنب استغفر إذا حصلت للعبد هذه الأمور الثلاث وكانت عدةً له في سيره إلى الله عز وجل تمت له السعادة والفلاح، وكانت علامة على توفيق الله عز وجل له وهذه الأمور الثلاثة اقتبسها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه ذكر هذه الثلاث في "الوابل الصيب" وذكر أنها عنوان السعادة.

---

(١) رواه أحمد (٢٤٩١٢).

(٢) رواه أبو داود (١٥١٦) وصححه الألباني.

الحنيفية ملة إبراهيم:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفيّة ملّة إبراهيم: أن تعبد الله وحدة مخلصًا له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦]».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعلم أرشدك الله لطاعته» أتى بفعل الأمر "اعلم" وهذا يفيد تنبيه القارئ وإيقاظه لما سيلقي عليه من العلم فيقول لك تنبه فإن ما سيلقى عليك من العلم شأنه عظيم وأمره جليل فتنبه له وانتفع به وأصغي إليه بقلبك، والإتيان بمثل هذه الصيغة للتنبيه مأثور في القرآن وفي السنة فإنه يؤتى به للأمور العظيمة﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: ١٩]، وفي حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «احفظ الله يحفظك...» ثم قال لما أراد أن ينبهه على أمر عظيم: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت... الحديث» فالاتيان بمثل هذا الفعل فعل الأمر للتنبيه وهذا مأثور في الكتاب والسنة.

قال: «أرشدك الله لطاعته» تأملوا رأفة المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعظيم شفقته بالمتعلم كرر الدعاء له استمالة لقلبه للحق، حتى يتبع الحق لا سيما في زمان المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإلى هذه الأزمان حصل إخلال من كثير من الناس ممن انتسبوا للإسلام في هذه الأصول العظيمة فربما إذا أراد أن يتبع الحق كان مخالفًا لأهله وعشيرته، فإذا جاء بالأسلوب الشديد ربما حصلت النفرة؛ فلذلك كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتأنى بالقارئ ويقرب له العلم وما يدعوه إليه ويدعو له أن يرشده الله للحق وهذا للأسف الآن كثير من الناس يجمع كما يقول الشيخ الألباني موصيا طلاب العلم قال: «لا تجمعوا

للناس بين شدة الحق وشدة الأسلوب شدة الحق لأن المتبع للحق في كثير من الأحيان يكون مخالف للناس بل أصلًا أنه مخالف للناس يستقيم ومن حوله ليسوا على استقامة يتبع السنة ومن حوله على بدعة، أو على شرك فيكون مخالف لأهله وقرابته فأنت تجمع له من شدة الحق أنه سيترك الناس وأيضا شدة الأسلوب! بل لا بد أن تتلطف مع الناس في دعوتهم، فالشاهد أنه هنا دعا له بأن يرشده الله لطاعته.

۞ **والرشد**: ضد السفه قال تعالى:﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾[الأعراف:١٤٦]فثم سبيل رشد وهو الذي أنزله الله عز وجل في الكتاب والسنة وثم سبيل غي وهو ما يخالف ذلك.

۞ **والرشد**: هو الاستقامة على الحق والهدى علمًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا، فحقيقتها أنها العلم النافع والعمل الصالح، فدعا المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقارئ هذه الرسالة أن يلهمه الله رشده فيقصد الحق ويتبع الحق ويكون من أهله علمًا وعملًا، فهذا الدعاء متضمن لحصول العلم بالحق واتباعه والعمل به وأن يتقبله الله عز وجل ويجعله من الراشدين يجعله من أهل هذا السبيل، وهذا الدعاء بأن يكون راشدا مناسب للسياق الذي سيذكر فيه المصنف الحنيفية لأن المصنف سيتكلم بعد هذا الدعاء أن الحنيفية ملة إبراهيم وقد وصف الله عز وجل من رغب عن ملة إبراهيم بأنه سفيه قال تعالى:﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾[البقرة:١٣٠]، فالراشد هو من اتبع ملة إبراهيم والسفيه هومن أعرض عنها فكان الدعاء مناسبا

للسياق الذي تكلم فيه المصنف عن الحنيفية.

قال: «أن الحنيفيّة ملّة إبراهيم».

۞ **الحنيفية**: مأخوذة من الحَنَف، والحنف قيل: هو الإقبال على الشيء، وقيل: هو الميل عن الشيء فهو معنى متقارب الإقبال على الشيء يلزم الميل عن الشيء والميل عن الشيء فيه إقبال على شيء آخر.

۞ **فالحنيفية شرعا**: «هي الإقبال على الله وحده والإعراض عما سواه» قاله ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ عبدالرحمن بن حسن فهي كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: هي الاستقامة بإخلاص الدين لله تعالى وإفراده بالعبادة حبًا وخضوعًا وانقيادًا، فحقيقة الحنيفية كما سيأتي في كلام المصنف هي إخلاص العبادة لله وحده قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس:١٠٥] وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل:١٢٠]، فأفادت هذه الآيات أن الحنيفية هي إخلاص القصد لله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام:١٦١]، فحقيقة الحنيفية هي تحقيق لا إله إلا الله إخلاص العبادة لله وحده ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾

[الممتحنة:٤]، هذه هي لا إله إلا الله نفي العبادة عمن سوى الله وإثبات العبادة لله وحده، فحقيقة حنيفية هي تحقيق التوحيد؛ لذلك المصنف لما ذكر الحنفية وذكر أنها ملة إبراهيم بينها بعد ذلك.

وقوله: «**ملة إبراهيم**» الملة: هي الدين هي ما شرعه الله لعباده، ثم بينها بأنها أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين فحقيقة الحنيفية إخلاص العبادة لله وحده﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾[الزمر:١١]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البينة:٥]، فالدين الذي أراده الله عز وجل منك يا عبد الله هو أفراده بالعبادة وهو ما كان خالصا له سبحانه لأن الإخلاص: هو تصفية الشيء وتمييزه مما يخالطه، فحقيقة الإخلاص تصفية العبادة لله وحده فلا يلتفت فيها لغير الله عز وجل، ليس فيها أي التفات لغير الله لا لمنصب ولا لجاه ولا لخلق، هذه حقيقة الإخلاص.

قال هنا: الحنيفية ملة إبراهيم، فإن قيل ما وجه إضافة الحنيفية لإبراهيم ؟ مع كونه دين جميع الأنبياء؟

۞ **الجواب**: لأمور:

۞ **الأمر الأول**: لأنه قام المقامات العظيمة في نصرة التوحيد وإبطال الشرك لذلك جعله الله إماما لمن بعده إلى قيام الساعة﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل:١٢٠]، يعني: إمامًا، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[النحل:١٢٣]، فقام

المقامات العظيمة في نصرة التوحيد كسَّر الأصنام وحصل له البلاء المبين وحصلت له هذه المواقف والمقامات العظيمة فجعله الله عز وجل إماما لمن بعده إذا هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: أن من بعث فيهم النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يزعمون أنهم على إرثٍ دينيٍ من دين إبراهيم فنبههم على خطأ دعواهم وأن حقيقة دعوة إبراهيم إخلاص العبادة لله وحده، قريش كانوا يزعمون أنهم على بقية دين من دين إبراهيم فقال: لا هذا خطأ اللي أنتم تدعونه إبراهيم ما كان مشركا ما كان من المشركين ولم يكن من المشركين كان حنيفا، فإذا أردتم دين إبراهيم فدين إبراهيم هو التوحيد.

الأمر الثالث: أن الله جعل في ذريته النبوة والكتاب حتى قيل عنه أبو الأنبياء قال تعالى:﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾[الحج:٧٨].

الأمر الرابع: أبطالا لمزاعم أهل الكتاب -اليهود والنصارى- أنهم على ملة إبراهيم﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ [آل عمران:٦٧]، وقال تعالى: ﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾[البقرة:١٤٠] لم يكونوا كذلك﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ ، وقال تعالى:﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ﴾[آل عمران:٦٨]، فهذه الأمور الأربعة جوابا على السؤال لماذا أضيف الحنيفية لإبراهيم مع كونها دين جميع الأنبياء، وهذه الأربعة الأمور مجموعة من كلام جماعة

من أهل العلم منهم ابن جرير الطبري ومحمد الخضر حسين وبكر أبو زيد وصالح الفوزان.

قال: «أن تعبد الله وحدة مخلصًا له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]»، فالله عز وجل أمر الخلق بإخلاص العبادة له وخلقهم لعبادته وحده لا شريك له، وكلام المصنف هذا اشتمل على أمرين:

- **الأمر الأول**: أن الناس خلقوا لعبادة الله وحده.
- **الأمر الثاني**: أنهم مأمورون بذلك وذكر الحجة والدليل على ذلك وهي آية الذاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ فدلت الآية أن الجن والإنس خلقهم الله لأجل العبادة فالغاية من خلقهم والحكمة من خلقهم عبادة الله تعالى، وهذه الآية جاءت على أسلوب الحصر والقصر قال: وما خلقت نفي وبعد استثناء هذه الصيغة تفيد الحصر يعني: لم اخلقهم لشيء من الأشياء إلا لأجل العبادة فالله خلق العباد لغاية عظيمة وحكمة جليلة هي عبادة الله تعالى وهذه الآية كما ذكرت دالة على الحصر والقصر أنه لم يخلقهم لغرض من الاغراض إلا لتحقيق العبادة وهي موضع الابتلاء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] يعني لمن يحقق العبادة هذا موضع الابتلاء والاختبار والامتحان.

ما وجه دلالة الآية على إخلاص العبادة لله وحده؟ الآية تقول إن الإنس والجن ما خلقهم الله للعبادة فما وجه الدلالة على لزوم الإخلاص منها؟

۞ **الجواب**: العبادة هنا هي التوحيد لذلك البخاري في الصحيح قال: «ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحدون» وقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ثلاثة الأصول: «ومعنى يعبدون يوحدون» وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١]، قال أي وحدوا ربكم، والاستعمال الشرعي جاري على تفسير العبادة بالتوحيد قد أشار لهذا المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وجه ذلك أن العبادة التي أمر الله عز وجل بها شرعًا لا تكون إلا بالإخلاص لله وحده﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة:٥]،وقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[النساء:٣٦]، ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[الأعراف:٧٠]، فالعبادة التي أُرسل بها النبي ﷺ وأرسل بها الأنبياء وخالفهم أقوامهم هي المبنية على التوحيد، فلا تكون العبادة عبادة إلا بالتوحيد، فالتوحيد ركن العبادة الأعظم؛ لذلك تُفسر العبادة بالتوحيد بهذا الاعتبار، فالحاصل أن الآية دلت أن الجن والإنس خُلقوا للعبادة، فإذا كانوا خلقوا للعبادة فهم مأمورون بها.

۞ **والعبادة**: هي جميع ما أمر الله به، وتكون بغاية الحب مع غاية الذل لله تبارك وتعالى، إذا نستفيد من هذه الآية أن الجن والإنس لم يخلقهم الله عز وجل إلا للعبادة فهذا الذي خلقنا جميعا له فينبغي أن يكون هو الغاية، الغاية أن تعبد الله عز

وجل في هذه الدنيا أما ما في الدنيا من متاع فإنما هو يُتخذ وسيلة لتحقيق العبادة، ولذلك من نصح قارون ماذا قالوا له؟ قالوا:﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[القصص:٧٧]، يعني خذ من نصيبك من الدنيا ما يكون مقربا لك إلى الله عز وجل محققا للعبادة التي خلقت لأجلها، ولذلك قال تعالى بعد هذه الآية:﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾[الذاريات:٥٦-٥٨]، فالله عز وجل هو الذي يرزقك ويمدك لتعبده وحده لا شريك له.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته فاعلم: أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلا مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة».

قال: «فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته» ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ «فاعلم» كن متنبها ويقظا «أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد» فأس قبول العبادة من صلاة ودعاء وصيام وجهاد إخلاصها لله تبارك وتعالى أن يخلص العبد قصده لله تعالى فمتى خالط العبادة الشرك كانت هذه العبادة باطلة وإن وجدت صورة العمل العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد يعني لا تسمى شرعا وإن وجدت واقعًا فالصلاة والصدقة والصيام لا تكون إلا مع التوحيد قال تعالى:﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٨٨﴾[الأنعام:٨٨] وقال الله تبارك

وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»، فلابد من التوحيد لتصح العبادة ويوضح لكم هذا حديث الثلاثة الذين تسعر بهم النار «أول من تسعر بهم النار ثلاثة» منهم قارئ ومجاهد ومتصدق كما جاء في الحديث هؤلاء وجد منهم صورة العمل لكنه لم يكن متقبلا لماذا؟ لأنه قال قرأت القرآن فيك، جاهدت فيك قال: كذبت بل قرأت ليقال قارئ وقد قيل، يعني الأمر الظاهر قد حصل لكن قصدك لم يكن لله عز وجل وحده فعملك باطل فوجدت صورة العمل ظاهرا لكنه لم يعتد به شرعا لوجود الشرك فقد تقدم مع الآية: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر:٦٥]، فلابد أن تجرد العبادة لله وحده وتأمل قول الله تعالى:﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾[الكافرون:٣]، أهل الشرك كانت تقع منهم عبادات﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[العنكبوت:٦٥]، وكانوا يتصدقون ويحجون فتقع منهم عبادات لكن هنا نفى عنهم العبادة ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ لماذا؟ لأنهم وقعوا في الشرك فعباداتهم لا يعتد بها شرعا؛ لأنهم خالطوها بالشرك، فهي وإن كانت تقع منهم أعمال خالصة لكن هذه الأعمال الخالصة لما وجدت معها أعمال غير خالصة أدت إلى بطلان الجميع فصارت العبادة غير معتد بها شرعًا فنفى الله عنهم العبادة أفاد هذا الشيخ الإسلام ابن تيمية ابن القيم وابن سعدي والشيخ بن باز رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعًا.

قال: «كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة»، هذا مثال حسن، ضربه المصنف ليقرب لنا المعنى، وأن صحة العبادة مبنية على الإخلاص والتوحيد، فإذا ذهب التوحيد لن تبقى العبادة معتد بها شرعًا الصلاة قال أساس صحتها وشرط صحتها الطهارة فإذا عدمت الطهارة لم يعتد بالصلاة شرعًا وإن وجدت الحركات «لا يقبل الله صلاة بغير طهور» فالطهارة شرط لصحة الصلاة فكذلك التوحيد لصحة العبادة، لو أن رجلًا توضأ ثم أحسن الوضوء ثم جاء وكبر وقرأ في الركعة الأولى عشرة أجزاء فعندما قام للركعة الثانية أحدث هل له أن يكمل هذه العبادة؟ نقول العبادة بطلت لابد أن يأتي بالطهارة من جديد فتنتقض الصلاة بانتقاض الطهارة فكذلك التوحيد ينتقض بالشرك قال تعالى:﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر:٦٥]، وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾[النور:٣٩]، وقال تعالى:﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ﴾[التوبة:١٧]، فلو عمروا المساجد مع شركهم فإن ذلك لا ينفعهم حتى يخلصوا العبادة لله وحده ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[الفرقان:٢٣]، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا بهذا المثال أراد التقريب، وإلا فشأن التوحيد أعظم فإنه من صلى بغير طهارة إنما تبطل الصلاة نفسها وأما إذا خل بالتوحيد وأتى بالشرك فإنه

يبطل عمله كله، ونجاسة الشرك مغلظة وأشد من جميع النجاسات ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ﴾[التوبة:٢٨].

قد يقول قائل هنا قال: العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ومن المعلوم أن العبادة شرعا تكون بأساسين وركنين هما الإخلاص والاتباع، فهنا قال العبادة لا تكون عبادة إلا مع التوحيد وأغفل الكلام على موافقة العمل للشرع وهو الاتباع فما وجه ذلك ؟

الجواب: هو يتكلم عن التوحيد ثم أيضا إشارة هنا إلى الركن الأعظم فإن الإخلال بالتوحيد يخرج الرجل من الدين وأما الوقوع في البدع فهي دون الشرك وان كان من البدع ما هو بدع كفرية؛ لذلك قال: العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد فحقيقة الأمر أن التوحيد مع موافقة الشرع.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفتَ أنّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك، لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشَّبَكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:١١٦] وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه».

قال: «فإذا عرفت أن الشركة إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار» هذا السياق يتكلم فيه عن الشرك الأكبر؛ لأنه قال: «من الخالدين في النار» فالمصنف هنا يتكلم عن الشرك الأكبر المحبط لجميع

الموجب للخلود في النار وذكر الدليل على ذلك﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:١١٦]، والدليل على خلوده في النار قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[المائدة:٧٢].

قال: «عرفتَ أنّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك، لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشَّبَكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله فيه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:١١٦]»، يعني: إذا عرفت أثر الشرك في أبطال العمل وأنه يوجب على صاحبه الشقاء الأبدي فإذا علمت عاقبة الشرك الوخيمة وأن مدار السعادة والشقاء هو على تمييز التوحيد من الشرك، على معرفة التوحيد والعمل به معرفة الشرك وتركه ومباعدته حرصت على معرفة ذلك على معرفة التوحيد حتى تعمل به وعلى معرفة الشرك حتى تتجنبه قال: «لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة» يعني شبه الشرك بالشبكة التي يضعها الصياد ليصيد بها فكذلك هذا الشرك شبكة يقع فيها من لم يتنبه لها فإذا عرفتها وعرفت موضعها إذا عرف الصيد موضع هذه الشبكة تجنبها أما إذا لم يعرف فإنه يقع فيها كذلك إذا لم تعرف الشرك فإنك قد تقع فيه يعني تحرص على معرفة التوحيد لتعمل به وتحرص على معرفة الشرك تتجنبه فإن كثير من الناس وقع في الشرك﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦]، فوقع في هذه المصيدة كثير من الناس بل كثير من الأذكياء وقعوا في الشرك فالشرك يجب الخوف منه لذلك من الأبواب التي عقدها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب

التوحيد باب الخوف من الشرك وذكر قول إبراهيم:﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾[إبراهيم:٣٥]، فيجب أن على العبد أن يحذر من الشرك وأن يباعده وأن يعرفه حتى يتجنبه كما قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان الناس يسألون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة أن يدركني» وكذلك قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

«وإنما تنقض عرى عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»

فلابد عليك أن تعرف الشرك حتى تتجنبه وتحذر منه خصوصًا أنه موجب للشقاء الأبدي وموجب أنه لا يغفره الله عز وجل، تأمل أحوال الناس كنا في عهد قريب لما حصل الوباء فيروس هذا كورونا شفنا الناس وقراءة التعليمات ومتابعة حتى يتجنب ويحطون في العمل كيف تقي نفسك وكيف تعتزل المصاب؟ كله من أجل أن يتوقى من هذا المرض فمرض الشرك أشد وأعظم موجب للشقاء فينبغي عليك يا عبد الله أن تحرص على معرفة التوحيد وأن تحرص على معرفة الشرك ولك أسوة بالخليل كان يدعو الله﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾[إبراهيم:٣٥].

قال إبراهيم التيمي: «من يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام».

قال: **«وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه»** فهذه القواعد الأربع هي مبينة لخطر الشرك وسبيل النجاة منه، قال الشيخ: **«ذكرها الله تعالى في كتابه»** يعني أصل هذه القواعد من كتاب الله تعالى يعني هي مبنية على الدليل وقلنا من مميزات مصنفات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي قيامها على الأدلة الشرعية وأيضا عرفها من

معرفة حال العرب، فهي قائمة على أمرين أدلة الكتاب والسنة والثاني معرفة حال العرب في أديانها وعباداتها، قال: «بمعرفة أربع قواعد» القاعدة: هي أساس الشيء وأصله فهذه القواعد هي أسس وأصول في معرفة التوحيد وتمييز الشرك فالحاصل في هذه المقدمة التي ذكرها المصنف بين يدي القواعد قرر فيها حقيقة العبادة وأنه لا بد فيها من الإخلاص وأن العبادة لا تكون إلا مع التوحيد وأن الشرك مبطل للعبادة فهذه المقدمة دلت على أهمية التوحيد وأهمية معرفة التوحيد وخطر الشرك ووجوب الحذر منه.

القاعدة الأولى

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «القاعدة الأولى: أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يقرُّون بأنّ الله تعالى هو الخالِق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور، ولم يُدْخِلْهم ذلك في الإسلام، والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾[يونس: ٣١]».

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله هو يتولى الصالحين وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره وسلم تسليما كثيرًا مزيدًا إلى يوم الدين أما بعد:

فشرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في بيان القواعد التي يحصل بها التمييز بين التوحيد والشرك والموحد والمشرك بعدما قرر أهمية التوحيد وحقيقة التوحيد وأنه المقصود الأعظم فبين هنا ما يميز الموحد عن المشرك؛ لأن هذا الباب حصل فيه خلل وإخلال أدى إلى فشو الشرك في من انتسب إلى أمة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهذا الباب حصل فيه التباس على كثير من الناس فذكر القاعدة الأولى، ومدار الحجة في القاعدة الأولى أن الجميع متفق أن ثمة كفار، ثمة مشركين قاتلهم النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فثم مشرك وثم مسلم، فاراد أن يبين الأمور التي اشتملت عليها

عقيدة الكفار ماذا كانوا عليه من الاعتقاد وما الذي دعاهم إليه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعلى ماذا قاتلهم؟ فهذه القاعدة الأولى يقرر فيها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجوب التمييز بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ونحن تقدم معنا بيان توحيد الإلهية وبيان توحيد الربوبية، وبين فيها أن توحيد الربوبية لا يُدخل صاحبه الإسلام إن لم يقر بتوحيد الإلهية فلابد أن نميز بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وأن توحيد الربوبية وحده لا يدخل صاحبه في الإسلام إن لم يقر بالإلهية وبين المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ذلك بمعرفة حال المشركين مع دعوة النبي ﷺ فإنهم لم ينكروا إفراد الله تعالى بالربوبية من الخلق والرزق وتدبير ملكوت السماوات والأرض وإنزال المطر إلى غير ذلك من افراد الربوبية، فهم كانوا يقرون بذلك ومع إقرارهم بذلك لم يصيروا مسلمين، فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يعدّهم من جملة المسلمين لذلك قاتلهم واستباح دماءهم وأموالهم وهو القائل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فدل هذا أنهم لم يقروا بلا إله إلا الله وأن إقرارهم بالربوبية لا يعني إقرارهم بلا إله إلا الله فلم يكن إقرارهم بالربوبية مانعًا من قتالهم ومدخلًا لهم في الإسلام وذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الدليل على ذلك كما وعد وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: قل يا رسول الله يا نبي الله لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء والأرض؟ ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ الشاهد هنا ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ سيقولون الله

وحده فاعترفوا أن الله عز وجل هو الذي يرزقهم وهو الذي يملك أسماعهم وأبصارهم وهو الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وهو الذي يدبر الأمر كله وحده تبارك وتعالى وهذا الأمر لم يدخلهم في الإسلام ويدل على ذلك قوله:﴿فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني: ألا تجعلون بينكم وبين عذاب الله وقاية بإفراده وحده بالعبادة فإنه هو الذي يرزقكم وهو الذي يدبر الأمر، فوحدوه بعبادته وحده لا شريك له، وهذا المعنى جاء في آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة لقمان:٢٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة العنكبوت:٦٣]، في آيات كثيرة في كتاب الله ومن هذه الآيات قول الله عز وجل:﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [سورة يوسف:١٠٦]، إيمانهم كما جاء عن ابن عباس ومجاهد، ابن عباس يقول: «يقال لهم: من خلق الجبال؟ من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ فيقولون الله، وهم يشركون ويعبدون معه غيره فإيمانهم هنا إيمانهم بالربوبية، ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ أي: يؤمنون بربوبية الله عز وجل وإشراكهم أنهم يعبدون معه غيره وعلى هذا جمهور المفسرين كما ذكر محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وليعلم أن عموم الكفار مقرُّون بربوبية الله عز وجل وأنه الخالق الرازق المدبر ومن أنكر ذلك فإنما أنكره على جهة الاستكبار مع إقرار قلبي بذلك،﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ [سورة الإسراء:١٠٢]، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا

﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [سورة النمل:١٤]، في حق فرعون ومن معه فهم كانوا يقرون بربوبية الله عز وجل ولذلك من أنكر الربوبية إنما انكرها على جهة المكابرة ولا يعرف هذا عن طائفة معروفة من بني آدم كما ذكر ابن أبي العز وأيضا في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية لا يعرف في طائفة من بني آدم أنهم أنكروا ربوبية الله عز وجل.

***هذه القاعدة نستفيد منها أمور:**

الأمر الأول: أن الإقرار بالربوبية وحده لا يفيد في دخول الإسلام.

الأمر الثاني: أن توحيد الإلهية هو الذي وقعت فيه الخصومة وهو الذي أنكره المشركون.

الأمر الثالث: أن توحيد الربوبية هو باب توحيد الإلهية كما يقول ابن القيم فمن أقر بربوبية الله عز وجل وانفراده بالخلق والرزق والأحياء والإماتة إلى غير ذلك لزمه أن يقر بإلهية الله عز وجل وأن يفرده بالعبادة، ولذا يساق إقرارهم بتوحيد الربوبية مساق الإلزام بتوحيد العبودية، كما في الآية هنا فإنهم يقرون بذلك فجُعل إقرارهم حجة عليهم في وجوب إفراد الله عز وجل بالعبادة قال تعالى: ﴿فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، كذلك قوله تعالى في أول أمر في كتاب الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [سورة البقرة:٢١]، هذا أول أمر، ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾ [سورة البقرة:٢٢]، كل هذا يقرون

به لذلك هنا سيق مساق الاحتجاج عليهم وإلزامهم بالعبادة قال الله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ هذا أول نهي، فأول أمر في القرآن أمر بالتوحيد، وأول نهي نهي عن التنديد وإشراك غير الله عز وجل بالله فيما هو حق له سبحانه وتعالى.

الأمر الرابع: هذه القاعدة نستفيد منها بيان غلط من فسَّر لا إله إلا الله بالربوبية وقالوا: معناها لا خالق إلا الله وبعض المتكلمين من الأشعرية يقولون: لا قادر على الاختراع إلا الله، هذا معنى لا إله إلا الله عندهم؛ لأن المشركين قد أقروا بخالقية الله عز وجل ومع ذلك قاتلهم على لا إله إلا الله فدل أنهم لم يقروا بلا إله إلا الله﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [سورة البقرة:١٩٣]، حتى لا يكون شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، ولذلك أبى المشركون الأوائل الإقرار بلا إله إلا الله وقالوا﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ [سورة ص:٥]، فلابد من فهم معنى لا إله إلا الله، وكانوا هؤلاء يعرفون معنى لا إله إلا الله لذلك أبوا أن يقروا بها عرفوه من جهة لغة العرب ولذلك رفضوا الإقرار بلا إله إلا الله وهذا مما ينبغي أن يتنبه له في فهم معنى كلمة التوحيد ومن التفاسير الدارجة عند كثير من الناس أنهم يفسرون التوحيد وهذا تجري عليه بعض الجماعات المشهورة يقولون لا إله إلا الله هي إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين على ذات الله عز وجل بأنه لا ينفع ولا يضر إلا الله فيقولون مثل هذا، هذا تفسير بالربوبية مؤداه تفسيره بالربوبية ثم بنوا عليه مسألة وهي إنكار السببية لذلك إذا وسعوا في الكلام قالوا السكين لا تقطع والبحر لا يغرق إلى غير ذلك من الأمور

التي ترجع إلى عقائد أهل البدع والأهواء.

۞ **الأمر الخامس**: يتبين لنا بهذه القاعدة ضلال المشركين المتأخرين عن سلفهم من المشركين الأولين وذلك من وجوه:

❃**الوجه الأول**: أن المشركين المتأخرين زعموا فيمن عبدوهم تصرفًا في الكون فوقع منهم الشرك في الربوبية وأما الأولين فلم يقع منهم ذلك، لذلك تجد في جماعة من المتكلمين أو المتصوفة أن بعض الأقطاب عندهم والأوتاد يتصرف بالكون ويدبر أمر الكون هو الذي يعطي ويمنع وهذا لم يكن واقعًا في المشركين الأولين.

❃الأمر الثاني: أن المتأخرين جهلوا كلمة التوحيد جهلوا معنى كلمة التوحيد لذلك قالوها وأتوا بخلافها فيكثرون من قول لا إله إلا الله لكن يذهب للقبر ويذبح للقبر ويسجد للقبر، أما الأولين فهموا المعنى وأبوا الإقرار بها فكان أولئك أفضل من جهة أنهم فهموا معنى التوحيد كلمة لا إله إلا الله، أيضا الأولين عرفوا أن الإقرار بالربوبية لا يكفي بل لا بد من الإلهية وهذا يرجع للذي قبله.

القاعدة الثانية

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «القاعدة الثانية: أنهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربى والشفاعة نريد من الله لا منهم تأتي بشفاعتهم والتقرب إليهم فدليل القربة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [سورة الزمر:٣]، ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة يونس:١٨]».

لما قرر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في القاعدة الأولى أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية وأن الله عز وجل وحده هو الخالق الرازق المدبر ذكر في القاعدة الثانية سبب عبادة المشركين لآلهتهم كأن سائلا سائل إذا لماذا عبدوهم؟ فبين هنا سبب عبادتهم غير الله عز وجل وهل كانوا يعتقدون فيهم؟ استقلالا من دون الله عز وجل إنهم يتصرفون أم أنهم عبدوهم على جهة أنهم وسائط يوصلونهم إلى الله عز وجل وبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة فهؤلاء لم يكونوا يعتقدون في معبوداتهم على اختلاف أنواعها أنها ترزق وتخلق وتحيي وتميت وإنما دعوهم وعبدوهم زعما أنها وسائط ووسائل تقربهم إلى الله عز وجل وتشفع لهم عنده فهذه شبهة شركهم وضلالهم وهذا الزعم موجود عند

الأولين والمتأخرين في شركهم وسبب هذا الفعل منهم قالوا: أن هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله من الموتى وأصحاب الصور وغيرهم يشفعون لهم عند الله عز وجل في جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم وهؤلاء الذين نعبدهم أناس صالحين لهم جاه عظيم ومنزلة كبيرة عند الله عز وجل فلهم عنده كرامة وقرب يقولون ونحن نرى ملوك الدنيا لديهم أناس لهم حظوة وجاه والناس أغلبهم لا يباشرون هؤلاء الملوك بالسؤال وإنما يتوصلون في حاجاتهم من جلب نفع أو دفع ضر إلى هؤلاء الذين لهم حظوة وجاه عند الملك ونحوه ليوصل له لهذا الملك حاجته، فكذلك نحن مذنبون ومقصرون وهؤلاء لهم مكانة ومنزلة فنحن نتقرب لهؤلاء ليقضوا لنا حاجاتنا فهذا هو شبهة شركهم، وهذا لا شك أنه ضلال مبين لأن هؤلاء قاسوا رب العالمين العظيم الجليل، مالك الملك الغني عن كل من سواه، المفتقر إليه من عداه، العالم بأحوال خلقه ظاهرًا وباطنا بالعبد الضعيف العاجز المحتاج، فإن هؤلاء الشفعاء الذين يشفعون عند الملوك قيام ملك هؤلاء الملوك بهؤلاء فإنهم من أعوانهم وأنصارهم وبهم يكمل ملك هؤلاء على الناس فهم محتاجون لهم، وأيضا هؤلاء الملوك من البشر يغيب عنهم كثير من أحوال الناس فيحتاجون إلى من يوصل إليهم أمور الناس ولهم هؤلاء الذين يشفعون والملوك ومع هؤلاء بينهم يعني وجاهة، وبينهم رغبة ورهبة وحاجة لذلك يحصل قضاء الحاجات على أيديهم وتنفذ كلمتهم فهذا من قياس الخالق على المخلوق وهو من أسوأ القياس فإن الله عز وجل رب كل شيء ومليكه، وهو الذي إذا شاء شيئا

كان وإذا لم يشأ شيئا لم يكن، والله عز وجل كما جاء في الحديث: «ليعزم أحدكم المسألة فإن الله لا مكره له ولم يجعل بينه وبين دعاء خلقه حجاب أو واسطة» ولذلك لما قال سبحانه وتعالى:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة:١٨٦]، ما قال (فقل أني قريب) مباشرة قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، فليس بين العبد وبين دعاء ربه واسطة أو حجاب وهو سبحانه وتعالى أرحم بعبده من الوالدة بولدها وكل من في السماوات والأرض هو تحت ملكه وتصرفه سبحانه وتعالى، ولذلك الله عز وجل نرى في آيات الشفاعة يقول كما في قوله تعالى:﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ [سورة الزمر:٤٣]، تأمل هذه الأيات﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الزمر:٤٣-٤٤]، فبين في هذه الآية أن الشفاعة هي لله تعالى الذي يملكها ويأذن فيها ويأمر بها وهنا قدم الخبر قال ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ تركيب الجملة: قل الشفاعة لله، وقدم الخبر ها هنا بيانا أن الشفاعة هي ملك لله وحده لا شريك له فيها وأكد ذلك بقوله جميعا فهو سبحانه الذي يملكها وهو الذي يهبها وهذا من تمام ملك الله عز وجل وتمام قهره وتصرفه فإن الله عز وجل لا أحد يتقدم بين يديه بغير إذنه لأن الشفيع في الدنيا إذا شفعت لأحد أن تتقدم بدون إذن المشفوع إليه وقد يكون هو كاره أصلًا للشفاعة لكن لما يقدر من محبة أو من خوف أو رجاء لهذا الشخص يقبل الشفاعة في هذا الأمر، الله عز وجل أجل

وأعظم من ذلك، والشفاعة ملك لله عز وجل ولا أحد يتقدم بين يديه إلا بإذنه ورضاه سبحانه وتعالى وقال تعالى:﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزخرف:٨٦]، فهذه الآيات تبين أن الشفاعة ملك لله عز وجل.

وهو أيضا مالك السماوات والأرض لذلك في أية الكرسي:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥] فهو سبحانه وتعالى مالك السماوات والأرض ومن فيهن وهذا الملك موجب لكون الشفاعة ملكا له ولا يتقدم أحد بالشفاعة إلا بإذنه لذلك ذكر بعد ذلك قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، الجواب لا أحد يتقدم؛ لأن الله هو الملك وهو المالك فلا يتقدم أحد إلا بإذنه ورضاه سبحانه وتعالى، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ﴾ [سورة سبأ:٢٢-٢٣]، هذه الآية كما يقول بعض أهل العلم: قطعت أصول الشرك أزالت الشرك من جذوره وأصوله تقول الآية: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فليس ثم ملك إلا لله عز وجل، هؤلاء لا يملكون شيئا، بل لا يملكون ذرة في السماوات ولا في الأرض.

قد يقول قائل: إن هؤلاء نعم لا يملكون على جهة الاستقلال وإنما يملكون

على جهة مشاركة فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ ليس ثمة شريك بل الملك لله عز وجل وحده.

قد يقول قائل: هم ليسوا شركاء لكن هم أعوان يعينونه، قال: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾.

فبقي بعد ذلك الشفاعة هل ثم أحد يشفع بين يديه من غير أذنه؟ قال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، فبين أن الشفاعة هي من ملك الله عز وجل ومن تصرفه فلا يشفع الشافع إلا بعد إذنه ورضاه

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الأدلة على أن عبادة هؤلاء لما عبدوه إنما هو على جهة القربى ليقربوهم إلى الله عز وجل وعلى جهة الشفاعة فقال: «فدليل القربى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة الزمر:٣]»، هذه الآية من سورة الزمر قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [سورة الزمر:٢-٣]، هؤلاء الذين اتخذهم المشركون أولياء يتولونهم ويحبونهم ويستنصرون بهم ولهم بهم رغبة ورهبة ويعبدونهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، هؤلاء يقولون ويزعمون أن عبادتهم لهؤلاء إنما هي على جهة القربى إلى الله عز وجل لا غرض لنا يقولون: (ما نعبدهم إلا) هذه الصيغة تفيد الحصر يعني ليس لنا غرض من عبادة هؤلاء إلا ليقربونا إلى الله زلفى

فنحن نعبدهم حتى يقربونا إلى الله عز يشفعون لنا، يقضون حوائجنا لا لأنهم يخلقون أو يرزقون أو يحيون أو يميتون قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾، فقولهم ودعواهم وزعمهم هو كذب وهم بذلك كفار، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾، وقال هنا: ﴿كَفَّارٞ﴾ صيغة مبالغة أي: شديد الكفر قد بلغ منتهاه، فأكذبهم الله عز وجل وبين أنهم ذلك هم على كفر وهم كفار بذلك.

قال: «ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة يونس:١٨]»، فبين في هذه الآية أنهم يتوجهون لهؤلاء بالعبادة على جهة أنهم يشفعون لهم عند الله عز وجل.

لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا وجه شرك المشركين وأنه وقع على الشفاعة ناسب أن يفصل في مسألة الشفاعة فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشفاعة شفاعتان شفاعة منفية وشفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [سورة البقرة:٢٥٤].

والشفاعة المثبتة: هي التي تُطلب من الله، والشّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضيَ اللهُ قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[البقرة:٢٥٥]».

الشفاعة: هي من الشفع ضد الوتر وهو ما شفع غيره كان فردا فصار زوجا، فهي تفيد المقارنة كان وترا تقول كان وترا فشفعته أي جعلته زوجا.

والشفاعة: هي التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة، وسميت شفاعة؛ لأن صاحب الحاجة قد ضم إلى حاجته شفاعة الشافع فاجتمعت الحاجة وشفاعة الشافع، وأيضًا لأنه شافع للمسؤول فهي لن تقضى من جهة من رفع إليه الطلب إلا بشفاعة هذا فكأنه شاركه في إنفاذ الأمر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة**»، سبب هذا التقسيم أن النصوص التي جاءت في كتاب الله عز وجل جاءت في مواضع بنفي الشفاعة وهذا الغالب في نصوص كتاب الله عز وجل الغالب فيها نفي الشفاعة قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [سورة البقرة:٤٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [سورة البقرة:٢٥٤]، وقال تعالى:﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠﴾[سورة الشعراء:١٠٠]، ونحو ذلك من الآيات.

وجاءت آيات بإثبات الشفاعة لكنها تأتي مقيدة أو على جهة الاستثناء، كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨]، وقوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [سورة طه:١٠٩]، فهنا آيات عندنا في النفي

وآيات في الإثبات، ولما جمع أهل العلم بين هذه الآيات تبين أن الشفاعة على نوعين وليس ثمة معارضة بين ما أثبت وبين ما نفى فكل له وجهة، طبعا البحث في الشفاعة هنا إنما هو في الشفاعة عند الله عز وجل وأما الشفاعة في الدنيا أن يشفع رجل لآخر في جلب منفعة أو دفع مضرة يشفع عند سلطان أو عند رجل له عنده حاجة في جلب منفعة أو دفع مضرة هذه مستحبة ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ **[سورة النساء:٨٥]**، فهذه إذا كانت شفاعة حسنة له أجر وإن كانت شفاعة سيئة فعليه وزر، ولا خلاف في جوازها، وإنما البحث هنا في الشفاعة التي تكون عند الله عز وجل.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله**» الشفاعة المنفية: هي التي نفاها القرآن ويدخل فيها الشفاعة في الكفار، فالكفار لا تناهم الشفاعة هؤلاء لا شفاعة لهم قال تعالى:﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المدثر:٤٨]،﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة الشعراء:١٠٠]، ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة غافر:١٨]، والظالمون: هم الذين كمل ظلمهم هنا في الآية وهم الكفار، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [سورة البقرة:٤٨]، النفس هنا بالإجماع كما ذكر القرطبي: هي الكافرة فهي التي لا يقبل منها شفاعة، إذا الشفاعة في الكفار لذلك بعض الناس الآن يموت بعض الكفار فيدعوا له بالرحمة هذا ما ما تمشي ما تنفذ فيه هي الشفاعة، إبراهيم قال:﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة

الشعراء:٨٦]، الله عز وجل قال في الآية الأخرى:﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة التوبة:١١٤]، طيب هذه الشفاعة الأولى الشفاعة المنفية وقلنا يدخل فيها الشفاعة في الكفار والثانية الشفاعة الشركية وهي التي يعتقد أهل الشرك أن آلهتهم ومعبوداتهم تشفع لهم من غير إذن ورضا من الله عز وجل وذكر الدليل على ذلك وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٤]، فلا تدركهم الشفاعة لكفرهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالى:**﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]»، فالشفاعة المثبتة هي التي أثبتها القرآن وهذه الشفاعة التي أثبتها القرآن لها شرطان:

- **الشرط الأول**: أذن الله تعالى للشافع بالشفاعة قال تعالى:﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [سورة يونس:٣]، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سورة سبأ:٢٣]، فشفاعة العبد لا تكون إلا بعد إذن الله عز وجل فهي كشفاعة العبد المأمور الذي لا يتقدم بين يدي سيده ومالكه حتى يؤذن له.

- **الشرط الثاني**: أن يرضى الله عز وجل عن الشافع والمشفوع قال

تعالى:﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [سورة طه:١٠٩]، ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨]، والرضا متعلق بالشافع والمشفوع ليس فقط بالمشفوع، فمن أذن الله عز وجل له ورضي له بالشفاعة ورضي أن يشفع فيه هنا تقع الشفاعة، ومن رضي له قولا هو الموحد فالشفاعة لا تكون إلا من الموحد ولا تقع إلا للموحد ولذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما سئل النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه»، وفي حديث الشفاعة قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا»، وليعلم أن طلب الشفاعة والشفاعة هي من جنس الدعاء طلب الشفاعة من الأنبياء والصالحين في حياتهم حال حضورهم هذا لا بأس به هذا من جملة الدعاء يعني لو كان رجل صالح الآن قلت له أدعو الله عز وجل لي بالمغفرة وأنت وهو حي وحاضر وقادر على الدعاء وتعتقد أنه سبب فهذا لا بأس به يجوز أن يدعو لك ولهذا في حديث عكاشة المشهور قال: «أدع الله أن يجعلني منهم»، وقال عمر رضي الله عنه لما قبض النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «أنا كنا نستسقي بنبينا فتسقينا وإنا نستسقي بعم نبينا فاسقنا، قم يا عباس فأدعو الله» فهذه الشفاعة حال الحياة، يجوز أنك تقول لرجل أدع لي ونحو ذلك، والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يستسقي لأصحابه والمسلم يدعو لأخيه بالخير، لكن يشترط في ذلك أن يكون حيا قادرا حاضرا وأن يعتقد أنه سبب ومثل هذه جائزة، أما الشفاعة من الأموات

والغائبين فهذه هي الشفاعة المنفية التي هي من الشرك الأكبر المخرج من الملة وهي التي كان عليها المشركون في القديم وفي الحديث.

القاعدة الثالثة:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «القاعدة الثالثة: أنّ النبي ق ظهر على أُناسٍ متفرّقين في عباداتهم منهم مَن يعبُد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ق ولم يفرِّق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [سورة البقرة:١٩٣]».

القاعدة الثالثة هي في حقيقتها رد ضمني على شبهة المشركين المتأخرين في عبادتهم للأولياء والصالحين والأنبياء والملائكة فإنهم قالوا لا يصح لكم أن تقيسوا النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو الحسن أو الحسين أو الجيلاني أو البدوي إلى آخره من هؤلاء الصالحين الذين يصرفون لهم شيء من العبادة لا يصح لكم قياس هؤلاء على معبودات قريش لأن أولئك يعبدون الأحجار ويعبدون الأشجار ويعبدون الشمس والقمر لا نحن نعبد الصالحين، فبين لهم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه القاعدة أن المعتبر في الشرك صرف العبادة لغير الله عز وجل صرف ما هو حق لله عز وجل إلى غيره من دون نظر إلى من صُرف له حق الله عز وجل وإنما النظر هنا إلى كون ذلك حقا لله عز وجل فلا ننظر إلى هذا الذي وقع الشرك به هل هو له جاه؟ هل هو له منزلة؟ هل هو له مكانة ؟ لا، وإنما ينظر إلى الفعل أنه شرك وعبادة لغير الله عز وجل، العبادة حق لله عز وجل ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ

﴿شَيْـًٔا﴾ [سورة النساء:٣٦]، لا صغيرا ولا كبيرا، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجن:١٨]، لا كبيرا ولا صغير لا نبيا ولا ملكا، فالعبادة هي حق لله عز وجل **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»** حديث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيحين، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرر هذا أن العبادة حق لله عز وجل لا تصرف لغيره بغض النظر إلى من صرفت العبادة قرر هذا بواقع حال المشركين بمعرفة حال العرب ومن بعث فيهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإن هؤلاء قد تفرقوا في عباداتهم وأديانهم ومعبوداتهم ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم:٣١-٣٢]، فهؤلاء كانت معبوداتهم متنوعة فمنهم من يعبد الصالحين ومنهم من يعبد الأحجار ومنهم من يعبد الشمس والقمر، فهؤلاء اجتمعوا في اسم الشرك واختلفوا في المعبودات هل فرق بينهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ قال الذي كان يعبد عيسى وعزير هؤلاء لا ليسوا مشركين والذين كانوا يعبدون الأحجار ونحوها هؤلاء المشركين لا لم يفرق بينهم قال: «وقاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولم يفرق بينهم» فجمعهم وصف الشرك ولم يفرق بينهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بل كفرهم جميعا وقاتلهم جميعا وذكر الدليل على ذلك وهو قول الله عز وجل: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٩٣]، الفتنة في الآية هي الشرك كما أثر عن مجاهد وأبي العالية وآخرين قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله وذهب الشرك ولم تكن فتنة» قال: ويكون الدين كله أي تكون العبادة خالصة لله عز وجل لا يشرك

معه غيره قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد»، ووجه الاستدلال بالآية وهو ظاهر إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ومن معه بقتال الكفار جميعًا لأجل شركهم ولم يفرق بينهم وهذا دليل عام ثم سيذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدلة خاصة سيذكر ما يتعلق بالشمس والقمر أن منهم من عبدها ثم الملائكة ثم الأنبياء وهكذا فبدأ بدليل عام تدخل فيه جميع المعبودات.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ [سورة فصلت:٣٧]»، ذكر دليل على أن هناك من عبد الشمس والقمر ذكر هذه الآية والشاهد منها قول الله عز وجل: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾، فنهى عن السجود لهما؛ لأن السجود عبادة، والعبادة إنما هي لله عز وجل، العبادة مستحقة لله وحده؛ لأنه هو الذي يعبد، والنهي هنا عن السجود ليس مختصا بذات السجود وإنما المراد به العبادة، فكل ما تعبد به لغير الله عز وجل ومن ذلك الشمس والقمر فإنه ممنوع وإنما خص السجود هنا؛ لأنه موافق لحال هؤلاء المشركين كما جاء في النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وذكر في الحديث أن المشركين حينئذ يسجدون لها فهو موافق لحالهم فليس النهي مخصوص السجود حينما ذكر السجود موافقة لحالهم، أيضا جاء في قصة

بلقيس﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ [سورة النمل:٢٤-٢٥]، فأنكر سجودهم لغير الله عز وجل.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة آل عمران:٨٠]»، الحاصل أن منهم من عبد الملائكة كما في الآية هذه قال: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾، أربابًا: يعني آلهة معبودة تعبد من دون الله عز وجل، وهذه الآية جاء أنها نزلت في وفد نصارى نجران، أنهم لما جاءوا للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قالوا له: أتريد أن نعبدك؟ فبين لهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه ليست العبادة له وإنما هي حق لله عز وجل، وذكر ذلك الله عز وجل في كتابه أنه لا يأمر خلقه أن يعبدوا الملائكة والنبيين بل العبادة هي له وحده سبحانه وتعالى، فاتخاذ الملائكة والأنبياء معبودات هومن الكفر والشرك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة المائدة:١١٦]، قال و الدليل أن منهم من عبد الأنبياء أية المائدة ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ما معنى معنى الإله؟ المعبود، أأنت أمرت الناس أن يعبدوك وأن

يعبدوا أمك؟ ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾، أنزهك عن ذلك ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾، فالعبادة هي حق لله عز وجل، هذا الكلام من عيسى ابن مريم قيل: أنه يقوله يوم القيامة، والسؤال هنا واقع على جهة التوبيخ والتقريع والإنكار على من عبده فإن قومه لما طال عليهم الأمد بعده حصل أن عبدوا عيسى فهنا وقع على جهة التوبيخ والإنكار وتبرئتًا له عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من أن يكون أمرهم بذلك وبيانا أن العبادة هي حق لله عز وجل، ولذلك الله عز وجل ذكر أن هؤلاء الذين يعبدونهم يتبرؤون منهم يوم القيامة ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [سورة فاطر:١٤].

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [سورة الإسراء:٥٦-٥٧]، ثم ذكر الدليل أن منهم من عبد الصالحين قال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ أي: هؤلاء الصالحين الذين عبدتم كما جاء ابن عباس ومجاهد أن المقصود بأولئك هنا عيسى وعزير والملائكة وجاء عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن المشركين كانوا يعبدون طائفة من الجن فأسلم هؤلاء الجن وبقي هؤلاء على شركهم وعمومًا يدخل فيها كل صالح عبد من دون الله عز وجل هؤلاء الصالحين الذين توجهتم بالعبادة لهم وهذا المقدار الذي يريده المصنف أن منهم من عبد الصالحين هؤلاء الذين عبدتموهم ودعوتموهم من دون الله عز وجل حالهم أنهم

يبتغون إلى الله عز وجل الوسيلة فهؤلاء يطلبون من الله عز وجل ويتضرعون إليه والوسيلة: هي ما يقربهم إلى الله عز وجل يعني يتعبدون لله عز وجل، يفعلون ما أمر ويتركون ما نهى عنه طلبا في القربى من الله عز وجل وبلوغ المنازل العالية، فهؤلاء يعبدون الله فكيف تعبدونهم وهم يعبدون الله تبارك وتعالى وهم؟ يخافون من الله ويرجون رحمته فكيف تعبدونهم؟

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [سورة النجم:١٩-٢٠]، وحديث أبي واقدٍ الليثي - قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال له ﷺ: «الله أكبر أنها السنن قلت والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾ [سورة الأعراف:١٣٨]، لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ثم ذكر الدليل أن منهم من عبد الأشجار والأحجار ذكر قول الله عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [سورة النجم:١٩-٢٠]، هذه من جملة معبودات المشركين عند بعثة النبي ﷺ وهي من معبوداتهم المعظمة عندهم (اللات والعزى ومنات) واللات: مما قيل فيها إنها صخرة بيضاء عليها نقوش كانت في الطائف وكان عليها بيت وكانت تعبد وتقصد وتعظم وكانت لأهل الطائف، والعزى: هي شجرة

عليها بناء وأستار كانت بين مكة والطائف بموضع يقال له: نخلة كانت تعظمه قريش، ومنات: هو صنم يعظمه الخزرج في الجاهلية كان بين المدينة ومكة قريب من قديد فكانوا يعظمونه ويهلون بالحج منه، فهذه من جملة معبوداتهم الباطلة، وذكر حديث أبي واقد الليثي وهذا فيه أيضا أن منهم من كان يتبرك بالأشجار وقوله: ينوطون أي: يعلقون، فخلاصة هذه القاعدة أن الشرك شرك حيثما وقع وتصرف فلا يفرق بين كونه بولي أو بحجر أو بشجر فمن صرف ما هو حق لله عز وجل من العبادة لغير الله عز وجل فقد وقع في الكفر والشرك.

القاعدة الرابعة:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «القاعدة الرابعة: أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين؛ لأنّ الأوّلين يُخلصون في الشدّة ويُشركون في الرخاء، ومشركوا زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة. والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٥]، ختم بهذه القاعدة الرابعة وأن مشركي الزمان الذي فيه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ شركهم زاد على شرك الأولين كل الشرك سوء وكل الشرك ضلالة ولكن هي دركات فالمتأخرين زاد شركهم على شرك الأولين وهذا لفساد الزمان وانتشار الجهل والظلالة وظهور علماء السوء أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين كما جاء في الحديث في الصحيح في البخاري حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم» كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا كان الغلط شبرا صار في الاتباع ذراعا ثم باعا» فالحاصل أن المشركين المتأخرين تغلظ شركهم حتى زاد على شرك كفار قريش، ووجه ذلك كما بين المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأولين كانوا في حال الشدة ونزول الضرر وإحاطة الخطر كانوا يُخلصون الدعاء لله عز وجل وحده ويتركون آلهتهم كما في هذه الآية: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾، وحصل لهم خوف وضرر ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ

لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، وقال تعالى:﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾ ذهب جميع ما تدعون ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلا الله جل وعلا ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الإسراء:٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة النحل:٥٣]، يعني إليه وحده لا إلى غيره ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة النحل:٥٤] وقد جاء في حديث حصين والد عمران رضي الله عنهما والحديث في إسناده ضعف بعضهم يصححه منهم ابن القيم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال له: «كم إله أن تعبد اليوم؟» فقال: «أعبد سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء» فقال له عليه الصلاة والسلام: «فمن لرغبتك ورهبتك» قال: «الذي في السماء»، إذا حصلت الرغبة والرهبة واستحكم الأمر يفرد الدعاء ويفرد العبادة للذي في السماء وفي بعض الروايات قال: «من تعد إذا أصابك ضرّ»، قال: «الذي في السماء»، قال: «إذا أصابتك رغبة» قال: «الذي في السماء»، قال: «إذا هلك المال»، قال: «الذي في السماء» في بعض الروايات قال له: «فيستجيب» يعني: الذي في السماء وتشركهم معه يعني لا يستجيب لك إلا الذي في السماء وتشرك هؤلاء معه في الدعاء والعبادة وأما المتأخرون فإن شركهم دائم في الضرّاء والسرّاء بل إذا استحكمت الأمور فزعوا إلى أصحاب القبور كما قال قائلهم: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» وهذا يعني قد نستغرب منه لكنه موجود حتى ظهرت بعض المقاطع وبعض الفيديوهات اللي تبين هذا في مقطع طائرة تهتز وجميع من

فيها ينادي ويستغيث بالله؟ لا يستغيث بالحسين وبعلي وبفاطمة هذه حال الشدة المشركين ما كانوا يصنعونها فهؤلاء قلوبهم استحكمت على الشرك وتغلضت على الشرك فهؤلاء هم أحوج إلى الدعوة والى البيان وهم أشد عنادًا من الأولين وهم اغلظ كفرًا من الأولين.

وبهذا القدر نكون أتممنا التعليق على هذه الرسالة المباركة على ما فتح الله عز وجل ويسر وأعان فله الحمد في الأولى والآخرة سبحانه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم سبحانك اللّٰهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس الموضوعات

مقدمة الشارح ٣
المقدمة الأولى في بيان التوحيد:.. ٥
المقدمة الثانية تعريف الشرك:.. ٧
المقدمة الثالثة: الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:.. ٨
المقدمة الرابعة: الرب:.. ١٠
المقدمة الخامسة والأخيرة: معنى الإله:.. ١١
مقدمة المصنف ١٢
الحنيفية ملة إبراهيم:.. ٢١
القاعدة الأولى ٣٥
القاعدة الثانية ٤١
القاعدة الثالثة: ٥٢
القاعدة الرابعة: ٥٩
فهرس الموضوعات.. ٦٢